سلبية الرأي العام العربي

ازاء قضيـــة كشمير

لأستاذ كبير

موقف الدول العربية من مشكلة كشمير موقف يدعو إلى الدهشة والأسف . وإنك لتلمس وراء هذا « الحياد » الذى تعتصم به الحكومات العربية ، وبعض كبريات الصحف الرأى العام العربى ، حين تتحدث عن قضية كشمير ، سلبية لا يبررها إلا اعتقاد خاطئ فى أفضلية العصبية الآسيوية على التضامن الإسلامى ، وإلا وهم نشرته فى الصحف الرأى العام آلة الدعاية الهندية وبعض المغرورين بها من الكتاب والمعنيين بالشؤون العامة من أن الهند علم على التحرر الآسيوى الذى سيتزعم حركات التحرر فى البلدان المغلوبة على أمرها . ويتخذ هؤلاء من مناصرة الهند لحركة التحرر الأندونيسى دليلا على هذا الادعاء . فقد خفى أن مناصرة الهند لأندونيسيا لم تكن مدفوعة إلا برغبة اكتساب السوق الأندونيسى للانتاج الهندى الذى لا يزال يسيطر عليه ملوك الصناعة من البريطانيين والإقطاعيين الهنود

وإن الحقيقة لتجادل كل من يدعى بأن حكومة الهند الحالية هى نصيرة مخلصة للحرية الآسيوية ؛ فإن صمت الهند عن مأساة العروبة فى فلسطين ، وتحالف نيودلهى وتل أبيب تحالف يدرك خفاياه كل من راقب صداقة اليهود والهنود فى الأمم المتحدة كما أدركها كاتب هذه السطور — كل ذلك وفوقه المعرفة الصادقة لحقيقة السياسة الهندية إزاء العالم العربى يفرض على الرأى العام العربى أن يهيب لنصرة الباكستان فى أزمتها مع العدوان الهندى فى كشمير

ترى هل اشتم الرأى العام العربى خطورة السياسة الهندية على مصالحه فى هذا الخبر المتواضع الذى نشرته جريدة الأهرام فى ٣٠ يونيو ١٩٥١ :

« العرب لا تؤيد الهند فى الترشيح لعضوية مجلس الأمن »

« انتهى الرأى بين دول الجامعة العربية على عدم تأييد ترشيح الهند لعضوية مجلس الأمن بعد أن وقفت على معلومات رسمية تنبئ بتحول فى سياسة الهند إزاء العالم العربى »

ولو شاء كاتب هذه السطور أن يتفرغ لسرد حقائق هذا التحول فى سياسة الهند نحو دول الجامعة العربية لملأ الصفحات ، ويكفى بأن نذكر الآن بأن الهند وهى شاعرة شعورا قويا بعداوتها للاسلام والتكتل الإسلامى قد انتهجت نهجا جديدا منظما لعرقلة كل ما من شأنه أن يزيد فى تضامن الدول العربية وأن يحقق لها مواصلة اليد من صناعة واستقرار وتكافل — والعرب كلمة أوجدها الإسلام

والهند فى تخوفها من استكمال الدول العربية والإسلامية لمكانتها العالمية قد شرعت فى التحالف مع خصوم العروبة والإسلام . وابتدأت بإسرائيل ، فكل عدو للعدو صديق . والواقع أن هناك أسبابا جوهرية عديدة تدفع إسرائيل والهند إلى التحالف والتدسس على كيانات الدول العربية والإسلامية . فلقد تسجل الآن فى صميم الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية أن الإسلام هو أصعب العقبات فى طريق برامجهما التوسعية لأسباب تتعلق بميلاد الباكستان وما تدعو إليه من تضامن إسلامى ، وبهذا النتوء المتلئ مكروبا والمسمى بإسرائيل ، وما يضمره من شر لعالم العرب والمسلمين

وفوق ذلك فإن اليهودية العالمية ، وقد أدركت أن لا أمل لها فى حياة سعيدة فى العالم المسيحى الذى اكتشف غشها وخداعها وسجله فى صفحات « الكتاب المقدس » وفى تاريخ الغرب السياسى والاقتصادى ، وقد تحدت العروبة والإسلام فى عقر دارها فإنها ساعية حثيثا للتحالف مع مذهب كالهندوسية لم تسجل كتبه الدينية لطخة عار على اليهودية كما سجلتها المسيحية وكما اختبرها فى مأساة فلسطين . وإلى أن يختبر الهنود طبيعة الخلق اليهودى وما جبل عليه من شر ومكيدة وانتهازية فإن مكاتب الدعاية اليهودية ستستمر فى نشاطها بنيودلهى وكلكتا وبومباى ، وستظل التجارة اليهودية على تغلغلها فى اقتصاديات المدن الهندية الكبرى كما سبق لها أن تغلغلت فى كبريات المدن الأوروبية والأمريكية

وإنك حين تطالع حماس الكتاب اليهود ودور النشر اليهودية فى أوروبا وأمريكا - وهى صاحبة السيطرة التامة على الفكر الغربى المعاصر فى تمجيد الثقافة الهندية والطنطنة بها لسبب وغير سبب — حين تطالع مدى اتساع حركة تطعيم الثقافة الغربية بالتراث الهندى التى يحمل لواءها يهود الغرب ، لا تجد بدا من أن تدرك بأن هناك «حاجة فى نفس يعقوب» ولا تتردد فى أن تفسر هذا الحماس اليهودى على ضوء تشابه الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية فى أمرين رئيسيين

أولاً — شعور كليهما بالتعاظم وإيمانه بأنه نواة حضارة القرون المقبلة . وكل دارس لحاضر الثقافة الهندية كما يبثها أقطابها اليوم يمل من تكرار فضائل « الرسالة الروحية » الخالدة التى يؤمن الهنود المعاصرون بوجوب فرضها على عالم المستقبل . وادعاءات « شعب الله المختار » فى إسرائيل وفى خارج إسرائيل هو صنع لادعاءات ألسنة الثقافة الهندوسية المعاصرة

وثانيا — أوجه التشابه بين الأيدلوجيتين الهندوسية والصهيونية هو اعتقادهما بأن الإسلام وأهله من عرب وعجم حجر عثرة فى وجه هذه « الرسالة » الإنسانية الكبرى « صهيونية كانت أم هندوسية » ولعلنا عائدون إلى دراسة أوجه التشابه بين هاتين الأيدلوجيتين فى بحث منفرد . ونكتفى بأن نذكر الآن أن حقائق هذا التحالف الهندوسى اليهودى، هى مواقفها المتشابهة من مشاكل مصر مع بريطانيا . وأزمة البترول الإيرانى، وسلبية الهند إزاء مأساة اللاجئين الفلسطينيين ، ومشكلة القدس ، وعشرات القرارات والتوصيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تتعلق بالشرق العربى التى عالجتها الأمم المتحدة والتى تجانست آراء وفد الهند وإسرائيل فى هيئة الأمم بصددها تجانسا عجيبا

* * *

ولنعد بعد هذه التوطئة إلى صاب هذا المقال وهى سلبية الدول العربية وألسنة الرأى العام العربى إزاء عدوان الهند على كشمير

والباحث لتفاصيل القضية الكشميرية يستطيع أن يثبت عدوان الهند متجردا من العاطفة الدينية تجردا تاما

فتاريخ أزمة كشمير واضح لا يدخل فيه التعقد : ولاية عدد سكانها ٥ ملايين نسمة ٩٠ ٪ منهم مسلمون يحكمهم مهراجا هندوسى هو من بقايا عهد الانتداب البريطانى . وكان من المسلم به أن تكون كشمير جزءا من هذه القطاعات الهندية التى كانت « العصبة الإسلامية » تطالب بجعلها دولة إسلامية . وقد تركت اتفاقية تقسيم القارة الهندية مستقبل كشمير رهينا بمشيئة أهله ، ولكن الهند تواطأت مع حاكم كشمير الهندوسى ورتبت معه الانضمام إلى الحكومة الهندية غير عابئة بمشيئة السكان المسلمين وغير مراعية لحكمة مبدأ تقسيم الهند الذى سلم به الطرفان (الهندوس والمسلمون) بعد انتهاء الانتداب البريطانى . لو كان فى مثل هذا التواطؤ صبغة شرعية لاستطاعت الباكستان أن تكسب لنفسها بقعة غنية فى صميم الهند — وهو ولاية حيدر أباد التى كان فى استطاعة حاكمها المسلم نظام الملك أن يعلن انضمامه للباكستان كما فعل حاكم كشمير الهندوسى . ولكن السياسة الهندية تقيس القانون بميزانين — واحد للمسلمين والآخر للهنود — ففى حين أن حكومة جوهر لال نهرو ابتلعت حيدر أباد عنوة واقتدارا . أصبحت الآن تحول دون استفتاء الشعب الكشميرى عن حقيقة رغبته فى المستقبل الذى يرتضيه على نحو ما أقره مجلس الأمن ومختلف اللجان الدولية التى درست مشكلة كشمير عن كثب

ومدعاة الأسف فى سلبية الشعوب والحكومات العربية إزاء هذا التحدى الهندى أن العالم بأسره ينتقد السياسة الهندية إزاء كشمير انتقادا مرا ويحمد للباكستان صبرها وحنكة أولى الأمر فيها

وإليكم أمثلة من انتقاد الرأى العام العالمى لعدوان الهند على كشمير

قالت جريدة الشيكاغو تريبون وهى من كبريات الصحف الأمريكية :

« إن جوهر لال نهرو رئيس وزراء الهند يرفض الأخذ بقرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بكشمير . وبينما يرفض إدانة الصين الشيوعية بالعدوان فى كوريا — وعدوانها فى كوريا حقيقة سافرة — نراه يلهب الأمم المتحدة بالسياط ليدين الباكستان

بالعدوان فى كشمير والهند هى المعتدية . والآن يلجأ نهرو فى كشمير إلى أساليب ستالين فى إقامة مجلس نيابى مزيف فى كشمير يدين له بالولاء »

وقالت جريدة النيويورك تايمس أكبر صحف العالم قاطبة :

« الحق فى قضية كشمير فى جانب الباكستان حتما ، وصلابة نهرو ومشاوراته فى كشمير ليست إلا عنوانا على نوع « الديمقراطية » التى يبشر بها الهنود »

وقالت جريدة المانشستر جاردبان صحيفة حزب الأحرار فى بريطانيا :

« إن من دواعى الغرابة أن تلهب الصحافة الهندية الرأى العام حول حادثة فردية من حوادث الحدود (بين الهند والباكستان) فى كشمير ، بينما سجل مراقبو الأمم المتحدة فى كشمير أكثر من ٤٠٠ حادثة اعتداء هندى على قوات الحدود الباكستانية »

وقالت الجريدة نفسها فى عدد آخر :

« أى ديمقراطية تبشر بها الهند حين يقوم رئيس وزارتها (نهرو) بالتواطؤ مع رئيس حكومة صورية فى كشمير لا يدين له الشعب بالولاء . »

« ... قد يستطيع الدكتور فرانك جراهام وسيط الأمم المتحدة فى كشمير بأن يحمل الباكستان على التخفيف من حدتها وعدتها إلى الجهاد فى كشمير . وقد يكون من حق المستر نهرو أن يطالب ذلك من وسيط الأمم المتحدة لو أنه (أى نهرو) كان على حق فى سياسته نحو الباكستان فى كشمير »

« ... وعلى المستر نهرو (أن يظهر حسن النية) بإقلاعه عن التواطؤ مع العناصر الحزبية التى تضمر للباكستان خيرا وأن يكف عن إلهابها بالخطب النارية التى تزيد النار ضراما . »

وقالت جريدة الديلى تلغراف البريطانية :

« إن سياسة المستر نهرو التوسعية تشكل خطرا عليه وربما على العالم بأسره . ألم يقل نهرو فى خطبة له فى ١١ يونيو « لن أسمح بعد الآن بمزيد من الهراء بصدد كشمير مهما كانت العواقب » . إن المستر نهرو يمثل الآن حصانا عاليا مما يستوجب فحص مقدرته وحنكته ، ما هى سياسته ؟ . هل أنه يحاول أن يفرض إرادته على الأمم المتحدة عنوة واقتدارا . . . إنه يسعى لطرح القارة الهندية فى السعير فى ظروف تكتنفها الأخطار . »

وقالت جريدة أوتاوا سيفيزن الكندية —

« إن الهند بمواقفها المتناقضة إزاء القضية الدولية لتاجئ أصدقاءها فى العالم إلى الدهشة فهى تقول لمجلس الأمن إنها لا تستطيع تقديم وحدات من جيوشها للدفاع الجماعى العالمى بدعوى أن مشاكل العالم يجب أن تحل بالمفاوضات السلمية . ثم هى (أى الهند) فى الوقت نفسه تحتفظ بأكثرية جيشها النظامى على حدود الباكستان (كشمير) وترفض قرارات الأمم المتحدة الداعية إلى حل المشكلة بالاستفتاء السلمى النزيه »

وبعد فإذا كان الرأى العام العالمى (وهو لم يكن فى يوم من الأيام نصيرا للقضايا الإسلامية) على مثل هذه الحدة فى انتقاده لعدوان الهند فى كشمير ، فحرى بالرأى العام العربى أن يدرك أن للباكستان وجهة نظر وجيهة فى نزاعها مع الهند . أضف إلى ذلك أن الشرق العربى بحكم جواره للقارة الهندية لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدى إزاء هذه الحالة المتدهورة فى كشمير حيث ترابط قوات الباكستان النظامية والمتطوعين المسلمين من كشمير والحدود الشمالية الغربية لمواجهة أربع فرق عسكرية هندية تامة العدة وهى تؤلف ٩٠ ٪ من قوات الجيش الهندى النظامى

ولقد مرت قضية كشمير هذا العام فى ثلاث مراحل كان التطور فيها من سىء إلى أسوأ بسبب عناد الهند وإصرارها على ابتلاع هذه الولاية الإسلامية

أما المرحلة الأولى فقد كانت فى يناير المنصرم عند ما عرض مؤتمر رؤساء وزارات دول الكومنولث البريطانى المنعقد فى لندن أن تقوم قوات نظامية تابعة لدول الكومنولث بحفظ الأمن فى كشمير خلال فترة الاستفتاء التى اقترحتها الأمم المتحدة . ورضيت الباكستان بهذا الاقتراح ، ولكن الهند رفضته وأصرت على رأيها فى أنه إذا كان لا بد من إجراء استفتاء فليكن تحت الحراب الهندية . وهذا نوع من « الديمقراطية » ولون من ألوان « الرسالة الروحية الخالدة » التى يبشر بها الهنود فى هذا العصر .

وكانت نتيجة هذا الموقف الهندى أن كسبت الباكستان مزيدا من العطف فى الأوساط العالمية

وكانت المرحلة الثانية فى يناير وفبراير الماضيين عند ما أقر مجلس الأمن مشروع كلفت به (الدكتور فرانك جراهام عميد جامعة نورث كارولاينا الأمريكية) وهو شخصية محايدة لها مكانتها — للتوسط بين الهند والباكستان لسحب القوات المسلحة من كشمير تمهيدا للاستفتاء . ومرة أخرى رضيت الباكستان بهذا القرار ورفضته الهند لأنها لا تعترف بمبدإ التحكيم

أما المرحلة الثالثة فهى جزء من سياسة « الأمر الواقع » التى اتبعها اليهود فى فلسطين وأخذها عنهم الهنود . وهى مواجهة الباكستان ببرلمان مزيف فى ولاية كشمير يدين للهند وأعوانها بالولاء

وقالت الهند إن هذا البرلمان (الذى حددت الهند لإجراء انتخاباته فى أكتوبر القادم) هو صاحب الكلمة النهائية فى مصير كشمير . وإذا علمنا أن الجيوش الهندية قد تسيطر الآن على منطقة كبيرة من ولاية كشمير — وأنها قد اعتقلت آلاف الزعماء المسلمين هناك — أدركنا نوع المصير الذى سيقرره هذا البرلمان الكشميرى

وقالت جريدة أولوس التركية معلقة على هذا « البرلمان » ما يلى :

« التحكيم مبدأ نص عليه ميثاق الأمم المتحدة (الذى وقعت عليه الهند) فهل هذا المبدأ مخالف لمبادئ الدستور الذى تضمه الهند الآن لكشمير ؟ وأى نوع من الدساتير هذا الذى لا يقبل مبدأ حق الشعب فى اختيار مصيره »

مرت هذه المراحل كلها وقوات الباكستان والمتطوعين المسلمين ترابط على الحدود وتشاهد بينها هذا التحدى الهندى العنيد ، واعتصمت القوات الباكستانية بالصبر فى ظروف العسر فيها مر ثقيل . وحين اشتكت الهند إلى مجلس الأمن مؤخرا من أن دوريات باكستانية نظامية ومتطوعة قد اعتدت على المراكز العسكرية الهندية ، أجاب رئيس الوفد الباكستانى هنا فى هيئة الأمم بتقديم مذكرة تحتوى على ٤٩٢ حادثة اعتداء قامت بها القوات الهندية فى الأشهر الأخيرة

والرأى العام العالمى حساس جدا لهذا التوتر الخطير فى قضية كشمير . فبالإضافة إلى أن حياة الباكستان الزراعية مرتبطة بالأنهار الثلاثة الكبرى التى تنبع فى كشمير وتمتد إلى شعاب الباكستان ، وبالإضافة إلى أن ٩٠ ٪ من سكان كشمير هم مسلمون راغبون أشد الرغبة فى الانضمام إلى الباكستان — بالإضافة إلى هذه الأسباب فإن الأوساط الدولية تعتبر أن فى مشكلة كشمير قسطا كبيرا من الخطورة بعرض السلم الآسيوى لمثل ما أولدته الحرب الكورية من ذيول

فهذه الولاية الإسلامية تحدها من الشمال ثلاث مناطق شيوعية هى روسيا الآسيوية والتبت والصين الشيوعية . فإذا اندلعت فى كشمير حرب فإن هذه المنطقة الإسلامية ستصاب بمثل النكبة التى أصيبت بها الهند الصينية الفرنسية وبورما التى تسرب المفسدون إليها وخلطوا بين المبادئ القومية السليمة وبين صراع الشيوعية وخصومها من حلفاء الغرب

وهذا وضع يدفع كل من يهمه مصلحة الثقافة الإسلامية والتضامن الإسلامى والاستقرار الآسيوى والعدالة والإنصاف أن يساهم بدفع الأذى ونصرة الحق قبل أن تدهم الكارثة

ولقد اقترحت مجلة الإيكونمست البريطانية الواسعة النفوذ فكرة لها وزنها حين علقت (فى عدد ١٦ يوليو ١٩٥١) على الموقف فى كشمير قائلة :

« تقوم الهند بتنفيذ سياستها فى كشمير على أساس الأمر الواقع خطوة خطوة . . . ومناورات الهند الآن ترمى إلى أن قضية كشمير أمر مفروغ منه ، وترفض فكرة تدعو إليها هيئة الأمم المتحدة التى كانت الهند أول من رفع قضية كشمير إليها

... إن فشل تسوية قضية كشمير يعرض السلم فى جنوب آسيا إلى خطر أكيد

.. يبدو أن الشعوب والساسة الآسيويين أنفسهم يجب أن يقوموا بعمل إيجابى لحل هذا التوتر . واللجنة المؤلفة من الوفود العربية والآسيوية فى هيئة الأمم التى أثبتت نشاطها لتسوية قضية كوريا تسوية سلمية تستطيع أن تقوم بنشاط مماثل فى قضية كشمير . »

١ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)

« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

لست أقصد بهذا العنوان نقداً لوزراء آل الحكم إليهم أو زال عنهم ، ولا أتحدث به عمن كانت لهم في الوزارة رياستان من سيف وقلم . ولا أريد أهل الموالي الذين كانوا يسكنون «العالية» في شمال المدينة المنورة ، وإنما أرمي إلى الطواف على كل ذي همة عالية في التراث الإنساني عند العرب وغير العرب ، في الماضي وغير الماضي ، من الشعراء والفلاسفة والعلماء والمتكلمين والمناطقة وأهل الفن ورجال الدين وأساطين الاختراع ، وجهابذة البيولوجيا والسيكولوجيا ، وأساتذة الأخلاق والاجتماع ، والساسة والقادة وأئمة الإصلاح ، ورعاة الأمم ، ممن ينضوون تحت لواء أصحاب المعالي الذين علوا في سلم المجد إلى درجات العلا

وفي الحق إنها لمخاطرة .. فما أوسع الآفاق ، وما أرحب الجوانب ، وما أصعب التجميع بين الأشتات ، والتوفيق بين المنظوم والمنثور ، والتأليف بين أعالي الجبال ومعالي الأمور

وسنرى أن العرب — جاهليين وإسلاميين — كانوا حقا أصحاب المعالي في كل جانب من جوانب الحياة الكريمة ، فقد امتلأت دواوين شعرهم ، وسجلات نثرهم بكل مشتقات المعالي قولا وعملا

هذا أقل ما يمكن للشعوب والحكومات العربية عمله للعزوف عن هذه السلبية الضارة التي انتهجوها إزاء عدوان الهند في كشمير ، ولإيفاء بعض ما عليهم من دين لباكستان التي كان حماسها ودفاعها عن قضايا العروبة بجميعها في هيئة الأمم وخارج هيئة الأمم على أخلص ما يكون الحماس وأبلغ ما يكون الدفاع

نيويورك

« عين »

حتى ليبدو للباحث المنصف أنهم أكثر أصحاب الحضارات إنتاجا في هذا الباب بحيث لم تكن تخلو خطرات شاعرهم ونائرهم من الجبال العالية ، حقيقة ومجازاً ، بيانا وبديعا ، صراحة وكناية

لهذا انفردت اللغة العربية بوفرة المشتقات من هذه المادة . قالوا في الفعل : علا يعلو ويعلى ، وتعالى يتعالى ، وتعلى يتعلى ، واعتلى يعتلي ، واستعلى يستعلي ، واعلولى يعلولي ، وأعلى يعلي ، وعلى يعلي ، وعالى يعالي ، واعل وتعال وعالى[1] . وفي الاسم والصفة قالوا : العلو والتعالي والاعتلاء والعلاء والاستعلاء والعلي والعلى والعلي ، والعلوي والأعلى والعالي والمتعالي والمعتلي والعلي . والعلوان والعالية والعلياء والمعلاة والعليا والعليات والعلية[2] والعلاوة . والأعالي والمعالي والموالي والعلالي والعلاوي والعليون . وفي الحرف والظرف قالوا : على وأعلى وعلوا وعاليا وعلاء وعالية ومن عل ومن عال ومعال ومن علا وعلو .

وإلى جانب هذا اشتقت الأعلام فقيل : علي ويعلى وعلاء والعلاء ، والعلا والأعلى ، وابن العلاء وأبو المعالي وأبو العالية وأبو العلاء وعبد الأعلى ، وعلية ، وأم العلاء ، ومن أسماء الأماكن المعروفة بالحجاز : العالية والعلياء والموالي والمعلى والعلاية وعلو المدينة

وقالوا : سدرة المنتهى ، والفردوس الأعلى ، والجنة العالية ، وأعلى عليين . واشتقوا من هذه المادة بعض الاصطلاحات الفنية فمنها :

استعلاء الحروف وهو أن تتصعد هذه الحروف في الحنك الأعلى ، والمستعلي من الحروف سبعة وهي الخاء والغين والقاف والضاد والصاد والطاء والظاء — ورجل علو للرجال (على وزن عدو) قاهرهم . والمرأة عالية الدم أي يعلو دمها الماء ، وهي تتعلى من نفاسها أي تطهر منه ، والعالية في القناة أعلاها ، وعوالي الرماح

(١) عال (بكسر اللام) . دعى ، وعال علي . ارتفع عني ودعني .

(٢) العلية (بكسر العين وضمها وتشديد اللام والياء) : الغرفة وجمعها العلالي

(٣) العلاوة : (بكسر العين) وهي ما يعلق على البعير بعد حمله ، (وبضم العين) هي نتيش الفقاة وهي أيضا أعلى الرأس والعنق . وجمعها علاوى (بفتح العين واللام والواو)